تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الصغار

برنامج مع الرسول

الحلقة الثالثة والعشرون

2021-05-05

مقدمة :

الدكتور بلال نور الدين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين .

أيها الأخوة الأحباب ؛ نحن مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مجموعة حلقات نستضيف فيها فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، بارك الله بكم ، ونفع بكم .

الدكتور بلال نور الدين :

أكرمكم الله سيدي ؛ نحن اليوم مع النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الصغار، مع أحباب الله ، مع الفئة الأطهر ، والأزكى في المجتمع ، كيف كان يعامل الصغار ونحن بحاجة إلى هذا الموضوع اليوم ؟

الصغار سيدي لهم خصائص معينة ، محددة تقتضي معاملة مختلفة غير معاملة الكبار ، والنبي صلى الله عليه وسلم من أولى آدابه في التعامل مع الصغار التعليم ، وهو الذي بعث معلماً بأبي هو وأمي .

عمر بن أبي سلمة ؛ كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه لها دلالة يضعه في حجره ، أي في حضنه صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، يأكل الطعام من هنا ومن هنا ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

{ عن عمر بن أبي سلمة رضي اللَّه عنهما قال : كنتُ غُلاماً في حجْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يَدي تطيشُ في الصحفَة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يا غلامُ ! سَمِّ اللَّه ، وكلْ بيمينك ، وكلْ مما يلَيك** ، فما زالتْ تلك طِعْمَتي بعدُ ، وفي رواية قال : أكلتُ يوماً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً ، فجعلت آكلُ من نواحي الصَّحفَة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كُل مما يَليكِ }

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك]

هذا التعليم للصغار والتلقين بهذا الأسلوب الراقي .

الأطفال أحباب الله علينا رعايتهم والاهتمام بهم :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا أذكر أن النبي الكريم نزل من على المنبر ، وحمل الحسن ، وتابع الخطبة معه ، منتهى المودة ، طفل .

لاعبه سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ، ثم اتخذه صديقاً ، هذا منهج ، في السنوات الأولى يحتاج إلى ملاعبة ، إلى مداعبة ، إلى ضم .

حدثنا دكتور في الجامعة من كبار علماء النفس قال : يحتاج الطفل إلى عشرين ضمة في اليوم ، غير الطعام والشراب ، هذا الضم يمتن العلاقة بين الأم والولد .

الدكتور بلال نور الدين :

وهذه في حجر رسول الله .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا رأيي الشخصي الأطفال مستقبل الأمة ، الأطفال قوة الأمة ، الأطفال حرز الأمة ، الطفل بريء .

أنا أذكر مرة دخلت إلى مستشفى أطفال ، لفت نظري شيء ، المحجبة تبكي ، وغير المحجبة تبكي ، والمدنية تبكي ، والقروية تبكي ، أودع الله محبة الأبناء في قلوب الآباء .

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي** وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)

[سورة طه]

هذه محبة الله ، لولا هذه المحبة لانتهت الحياة ، الحياة البشرية تستمر بهذه العاطفة نحو الأطفال ، الأطفال أحباب الله .

الدكتور بلال نور الدين :

وهذه الملاعبة في السنوات الأولى كما تفضلتم .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

لاعبه سبعاً .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

لكن أيضاً فيها تعليم .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

وجد معه قلماً ثمنه مرتفع ، من أين هذا ؟ هذه تحتاج إلى متابعة ، متابعة كبيرة جداً، لاعبه سبعاً ، وأدبه سبعاً ، الآن بعد سن معينة إن حاسبته بقسوة لا يتحمل ، وإن تركته يغلط ، وراقبه سبعاً ، لاعبه ، أدبه ، راقبه ، ثم بعد أن بلغ العشرين اتخذه صديقاً .

الدكتور بلال نور الدين :

حوار ، كن معه ، أيضاً سيدي من الذي يلفت النظر من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قلتم : لاعبه ، الممازحة ، والملاطفة كم لها من أثر على الصغار ، يقول : يا عمير ! ماذا فعل النغير ؟

أثر الممازحة والملاطفة على الصغار :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

نحن مر معنا في الجامعة مرجع ، كنا مكلفين أن نتابعه ، اللعب أو الفكاهة في التعليم لها أثر كبير ، أحياناً تصيب آلاف الأهداف بحجر واحد ، الفكاهة مطلوبة جداً ، والفكاهة من شيم الدعاة الكبار ، أحياناً عنده الفكاهة مثل الكاريكاتير ، تنقل لك مئتي معلومة بنظرة واحدة ، تنقل له مئتي فكرة بنظرة واحدة ، الكاريكاتير فن كبير جداً ، فلذلك نحن يهمنا جلب قلوب الصغار ، يجذبون بقصة .

عفواً ، لو أخذت معك ابنك إلى خطبة سألته عنها بالقصة يقول لك .

الدكتور بلال نور الدين :

يذكر القصة ، هذا الطفل الذي فقد عصفوره ، النبي صلى الله عليه وسلم قائد الأمة والجيوش ، يمازح عميراً ، وهو أخو أنس بن مالك ، يقول : يا عمير ! ماذا فعل النغير ؟ كلما رآه يقول له : ماذا فعل النغير ؟ يطيب خاطره .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

سيدي ، هذه المرونة ، والذكاء ، والحكمة ، والكمال ، والحب ، أنا أدعو كل أفراد المجتمع بأطيافه ، كل أعماره ، أنا مضطر أن ألاعب الصغير ، أنا أذكر كنت أقدم لكل ابن جاء مع أبيه إلى الخطبة هدية ، هدية ثمينة ، فأنا علقته بالجامع ، أما لو كان هناك ضرب ، كان هناك كراهية للجامع .

أقسم بالله أن شخصاً تلقى ضرباً من خادم جامع ، خمسون سنة لم يصلّ ، ضرب مبرح .

الدكتور بلال نور الدين :

هذا ينقلني إلى الفقرة التي بعدها ، حضور الأطفال في المساجد ، فيروي بريدة رضي الله عنه قال :

عن بريدة بن الحصيب : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب إذ أقبل الحسن والحسين يمشيان ويعثران ، عليهما قميصان أحمران . قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ، ثم قال : ' صدق الله :

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)

[سورة التغابن]

{ إني رأيت هذين الغلامين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى نزلت وحملتهما }

[أخرجه أبو داود وابن خزيمة]

صلى الله عليه وسلم .

أهمية حضور الأطفال إلى المساجد :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا في جامعي في الشام ، معي أكلات غالية جداً ، كلما رأيت طفلاً مع أبيه أعطيه هذه الأكلة الطيبة ، ربطت الجامع بشيء نفيس ، الطفل عندما يُضرب بالجامع كره الصلاة ، كره الدين كله ، فأنا فعلت العكس ، كل طفل يأتي مع أبيه له هدية ثمينة ، أحياناً تكلفني مبلغاً كبيراً ، لكن هذا الطفل أحبّ الجامع ، أحبّ الدين ، أحبّ القرآن ، أحبّ هذا المنهج .

الدكتور بلال نور الدين :

رأيت لوحة سيدي في مسجد أن هؤلاء الأطفال الذين تخرجونهم اليوم من المساجد هم نفسهم الذين ستترجونهم غداً ليدخلوا إلى المسجد ، إذاً سيدي هذه الظاهرة الموجودة أحياناً بعض المساجد ارجع إلى الصف الثاني ، ارجع إلى الوراء ، لو أثار بعض الفوضى ما الذي يمنع أن يكون في المسجد ؟

أثر التربية والتعليم في بناء الأجيال :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

يوجد طيار كبير وهو يقود طائرة ، عنده معاون ، خرج من هذه الطائرة ، من غرفته ، رأى أستاذه ، انحنى وقبّل يده أمام الركاب كلهم ، هذا وسام شرف سيدي .

يوجد قاض اشتكى إنسان أن هذا المعلم ضرب ابنه ، فجاء القاضي ، ورأى المعلم أستاذه ، خرج من طاولة الحكم إلى مكان المتخاصمين وقبّل يد المعلم ، أستاذه .

فالذي يعرف قيمة التعليم .

{ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ، وقوم يذكرون الله تبارك وتعالى ، وقوم يتذاكرون الفقه ، فقال صلى الله عليه وسلم : (كلا المجلسين على خير ، أما الذين يذكرون الله تعالى ، ويسألون ربهم فإن شاء أعطاهم وإن

شاء منعهم ، وهؤلاء يعلمون الناس ويتعلمون ، **وإنما بعثت معلماً** ، وهذا أفضل }

[أخرجه الحارث في مسنده وأبو داود الطيالسي]

هذا الحديث وسام شرف لكل المعلمين .

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** }

[أخرجه الإمام أحمد]

هذه هي التربية والتعليم ، هكذا كان اسم الوزارة عندنا في الشام : التربية والتعليم .

الدكتور بلال نور الدين :

سيدي أيضاً مما يلفت النظر من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع الصغار احترام الشخصية ، شخصية الطفل ، يعطيه شخصيته .

يروي مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي بشراب فشرب منه ، عن يمينه غلام ، وعن يساره شيوخ ، كبار في السن ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ أي هو نصيب الغلام ، لأنه على يمين رسول الله ، فقال الغلام : لا والله ، لا أؤثر بنصيبي منك أحداً ، أعطاه للغلام .

احترام شخصية الطفل ومعرفة فرديته :

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا اختصاصي في التربية ، ممكن أن ألخص لك أهم بنود تربية الأطفال ؛ احترام شخصية الطفل ، وأن تعرف فرديته .

الدكتور بلال نور الدين :

الفروق الفردية .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

أنا أذكر مرة كان يوجد عندي طالب يكاد يرسب في اللغة العربية ، وهذه المادة مرسبة، إذا لم ينجح بها جميع المواد لا قيمة للنجاح بها ، هو ضعيف بالإعراب بشكل غير معقول ، أبقيته بعد الدرس ، أعطيته بيتاً صعباً ، وأعربته له ، وكتب الإعراب كلياً ، قلت له : احفظه عن غيب حتى غدٍ ، في اليوم الثاني كتبت البيت على السبورة ، كلفت طالباً عادياً ليعربه فلم يعرف ، طبعاً أنا اخترت بيتاً من الصعب إعرابه ، طالب ثان ، ثالث ، رابع ، كان هو الخامس فقام بإعراب هذا البيت ، فصفق الطلاب له ، أذكر تماماً نال علامة تامة آخر العام .

فالمربي أب ينمي الشخصية ، لذلك كلمة : لا تفهم ، أنت حطمته ، أي كلمة سلبية ينبغي ألا يخاطب بها الطفل ، حتى لي أنا رأي ثان : إذا اسم يثير الجدل والاستهزاء ، أغير له اسمه ، أعطيه اسماً آخر ، لأنه يوجد أسماء تسبب العدوان .

الدكتور بلال نور الدين :

والاستهزاء من الطلاب .

الدكتور محمد راتب النابلسي :

نعم ، فالبطولة المعلم مربّ سيدي ، والمعلم أب ، والمعلم رحيم ، والمعلم عالم متفوق بعلمه ، والمعلم لا يرتكب خطأً أمام طلابه .

لو فرضنا إنساناً لا سمح الله دخن ، مشكلة كبيرة جداً ، القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والأصول قبل الفروع ، والمبادئ لا الأشخاص ، والمضامين لا العناوين ، والتدرج لا الطفرة ، هذه كلها مبادئ في التعليم .

أنا أعتقد باليابان وبألمانيا بالقرية أجمل بيت للمعلم ، هذا يبني أجيالاً ، الحداد مع الحديد ، والنجار مع الخشب ، والطبيب مع المرضى ، المعلم مع من ؟ مع أطيب فئة في المجتمع ، الأطفال أحباب الله ، فإذا اعتنينا بهم اعتنينا بمستقبلنا ، هؤلاء الصغار .

مرة كنت في بلدة اسمها ازرع ، جنوب سوريا ، دخلت للصف الأول الابتدائي ، كانت هذه الزيارة رسمية ، أوقفت طالباً ، قلت له : هل تعلم أن أحد أكبر علماء المسلمين ابن القيم الجوزية ، ترك ثلاثمئة مؤلف كان من ازرع .

خاتمة وتوديع :

الدكتور بلال نور الدين :

هنا كان في هذا البلد .

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ بهذه الكلمات الطيبة من فضيلة شيخنا نشكر له ، ونشكر لكم حسن المتابعة ، وأسأل الله تعالى أن ألتقيكم دائماً على خير ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نور الدين الاسلامي